

الإمام الخميني عليه السلام والحج

كفاح الحداد

ومما ورد في خطبة الزهراء عليها السلام:
 فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من
 الشرك والحجّ تشييداً للدين (٢).
 عن الإمام الصادق عليه السلام: لو عطل
 الناس الحجّ لوجب على الإمام أن
 يجبرهم على الحجّ إن شاءوا وإن أبوا.
 فان هذا البيت أنما وضع للحجّ (٣).
 وفي البحار عن الخصال الأربعة
 قال أمير المؤمنين عليه السلام: الحجّ جهاد كل
 ضعيف (٤).
 المقدمة
 الحجّ هو الهجرة إلى المحبوب، وهو

﴿واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت
 أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي
 للطائفين والقائمين والركع
 السجود﴾ وأذن في الناس بالحجّ
 يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين
 من كل فج عميق ﴿ليشهدوا منافع
 لهم ويذكروا اسم الله في أيام
 معلومات على ما رزقهم من بهيمة
 الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس
 الفقير﴾ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا
 نذورهم وليطوفوا بالبيت
 العتيق﴾ (١).

رحلة الفرد إلى الله تعالى.. رحلة مادية عبر السفر إلى بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمناً... ورحلة معنوية عبر هجر الأهل والأحباب والشوق إلى لقاء الله وتجديد البيعة عند بيته العتيق.. وشاءت الإرادة الإلهية أن تكون هذه الدعوة السماوية المسبوقة بالأذان هي رحلة المسلمين من كل الأمصار والأقطار والألوان والوجوه.. رحلة جماعية تتوافد فيها الجماعات الإنسانية المختلفة اللغات والقوميات ليكون الحج ملتقى لهم.. ولم يدعُ تعالى ﴿الذين آمنوا﴾ فقط لأداء هذه الفريضة الإلهية بل إنه دعا الناس جميعاً إلى بيته ﴿وبالله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾^(٥).

ليكون هذا التجمّع البشري الإسلامي المصنّف عن الأمة الإسلامية العظيمة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾^(٦)؛ مؤتمراً لتجديد البيعة وإحياء ذكريات انطلاقة الإسلام الأولى في وادٍ غير ذي زرع. وعلى هذا فالحج هو أروع وسيلة

تربوية تتناسب فيها الأقوال والأفعال والذكريات والمتاعب مع أيام الله وبيت الله ليعود الحاج إلى وطنه مغفوراً له مشحوناً بشحنات الدين والجهاد ومملوءاً بالعزيمة والقوة؛ ليكون ثورة على الاستكبار والطواغيت.

الحج مدرسة روحية ومحطة تربوية لتربية الفرد على الطاعة والتسليم وتقوية الشعور بالعزة والقوة عن طريق شدّ العلائق مع مصدر القوة الأصلي وهو الله تعالى.. وللحج منافع وفوائد-كأي فريضة عبادية أخرى - نذكر منها الشيء اليسير:

أولاً: - الحج يمهد للقاء المسلمين من مختلف أرجاء المعمورة، وهذا اللقاء يتيح لهم التواصل وتقوية العلاقات بعضهم مع بعض، ودراسة أوضاعهم السياسية والاجتماعية والعالمية والتباحث في إيجاد الحلول لمشكلاتهم المختلفة، فالموج البشري الذي ينطلق من الميقات المحدّد لمسيرته نحو الكعبة مع فوران القلوب واهتزاز الروح؛ ليلتقي حول البيت الحرام كالأنهار التي جاءت من مصادر عديدة؛ لتلتقي عند

شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم^(٨).

٢ - المساواة المطلقة بين الجميع: الغني والفقير والأسود والأبيض والقرشي والهندي.. من خلال طوافهم حفاةً حول الكعبة، ومن لباسهم البسيط البعيد عن كل أشكال الزينة.

٣ - إن الحرم هو عينة صغيرة لنموذج الحياة المنشودة في الإسلام، الحياة الآمنة المطمئنة التي يأمن فيها الإنسان على دمه وماله وعرضه، وهذا الشعور الأمني هو بغية الإنسان في كل مكان خاصة في وقتنا الحاضر إذ يعصف التيار اللأمني بالناس جميعاً، فترى التوتر والقلق والخوف يسيطر على البشرية كلها^(٩).. والفرد يعيش هواجس الخوف من أخيه وصاحبه وبنيه ودوماً تتطير في السماء نذر الحروب والقتل والدمار خصوصاً للمسلمين.. ولكنه في مكة لو رأى قاتل أبيه لما تعرّض له بل إنه لا يسحق النملة ولا يصطاد الطيور؛ لأنه ليس الإنسان لوحده يعيش الأمن والأمان، بل حتى الطيور والحيوانات، وتكاد

البحر الكبير مع رحمة الله تعالى المطلّة على هؤلاء الذين جاءوا متعلقين بأستار بيته طلباً للرحمة والغفران.

وقبل الميقات كان الكثير منهم يعيش حالة التفاخر والرفعة والكبرياء، ويجادل بعضهم بعضاً ويخشى الضعيف منهم بطش القوي، ومع انطلاقة الميقات تغيب كل هذه الصور، فهي المساواة المطلقة وهي الأمان المطلق عند البيت الآمن، وهي تجاوز كل صنوف التوتر الأخلاقي التي قد تزيد العداوة والبغضاء بين المسلمين.. ولعلّ هذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً﴾^(٧).

والمثابة هي المحل الذي يثوب إليه الناس ويرجع إليه المسلمون.. وإذا أردنا أن ندرج بعض فوائد هذا المؤتمر الإسلامي العظيم فنقول:

١ - ان الحج يؤدّي إلى اجتماع المسلمين والتعارف فيما بينهم، وهذا التعارف هو من أهداف رسالة الإسلام ودعوة الأنبياء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ

تكون صفة الأمان هي مرتجى البشرية المحاضرة.

٤ - الحج الذي هو مؤتمر إسلامي

كبير يربي عند الإنسان المسلم الشخصية السامية التي مازالت تحكي

الديني والانتمائي بأنه جزء من قصة

كبيرة، وهو واحد من الحجج الكبار، فهذا

الموحد لله والمتناثرة في كل بقعة من بقعة

وهؤلاء الطائفون حبا لهم

صورة مصغرة لتلك الشخصية العظيمة..

والحاج يؤدّي مناسكها بغير طريف

وسعي ووقوف عند المشعر وعرفات

والذبح يؤدّيها جماعة مع الآخرين، بل

إنّ القرآن الكريم ليدعو الحاج إلى أن

لا يفيض بمفرده إنّما من حيث يفيض

الناس «ثم أفيضوا من حيث أفاض

الناس واستغفروا الله غفورا

رحيماً»^(١٠).

فالحج حركة إلى الله، ولكن من

خلال الانصهار في الناس والتعامل

معهم على مبنى أخلاقي بعيد عن الجدل

والفسوق «فلا رفث ولا فسوق ولا

جدال في الحج»^(١١) ولا يستطيع أي

مؤتمر عالمي أن يحقق شيئاً ممّا يحقّقه

مؤتمر الحج للمسلمين^(١٢).

ثانياً: - الحج رحلة للإبحار في عالم

الزمان والمكان.. إلى الماضي العزيز

الراسخ في النفوس.. وهو انطلاقة إلى

السامية التي مازالت تحكي

قصة السنين قصة

الكبير، فهذا

الذي حج هو بيت الله

أول بيت وضع للناس

وأول بيت وضع للناس

وهدي للعالمين آيات بيّنات

لمن هداهم إليه ومن دخله كان

آمناً^(١٣)

مع تأمل البيت تتجدد ذكريات

الذي أمر منه

تعالى: «وحينما اتينا البناء تراه يتوسّل

هو وابنه بالله

«وإن يرفع

«وإن يرفع

«وإن يرفع

ليكون درساً عظيماً في التواضع

أمام الله والرجاء دائماً بقبول الأعمال،

فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يرجو قبول

أعماله، فكيف بالإنسان العادي الذي

يجب أن يكون طموحه هو قبول حجّه

ومناسكه؟

وهناك ذكريات الإسلام الأولى التي انطلقت من جوار الكعبة، فهناك غار حراء الذي كان يلجأ إليه رسول الله ﷺ ليتلقى الوحي ويناجي ربه، وهناك شعب أبي طالب الذي حوَّصر فيه المسلمون ثلاثة أعوام كاملة حتى أكلوا تراب الأرض، وبين الصفا والمروة تتجدد صورة سعي هاجر لينبتق الماء من زمزم، ويكون باقياً مدى الدهور لإرواء الحجيج، إن هذه كلها تجعل المسلم يطير في أفق جديد، أفق العقيدة التي لاقت الصعوبات المحسمة حتى أصبح هو مسلماً، ولا زالت كلمات الرسول ﷺ وأقواله واضحة جلية على كل التلال.. وهذه كلها تشد المسلم إلى تاريخه العظيم وإلى رسالته، فالتاريخ مدرسة الإنسان.. وقد نحتاج إلى هذا الربط في وقتنا الحاضر بعد أن حاول أعداء الإسلام تشويه تاريخنا العظيم لإزالة الفكرة الدينية عند المسلمين.

ثالثاً: - تحرير الذات الإنسانية من عبودية الهوى واتباع الشهوات.
هذا الأمر الذي يبدأ من هجر

الاخلاء والأصحاب والأولاد والسفر إلى لقاء الله. وفي مظاهر الحج تلغى أشكال الزينة والترف والتفاخر والتعالي، وتنطلق دعوة جديدة للإنفاق على الفقراء من خلال تقديم الهدى.. وإذا درسنا شعائر الحج لوجدناها رحلة لاجتياز الأنا.. فالحج ينزع الأهواء عبر الميقات الأول ولبس ثياب الإحرام ونزع كل زينة والتجرد عن كل تعلق دنيوي. الحج يعلم الإنسان أن يكون طوافه حول الله، وأن تكون نيته خاصة لوجهه تعالى، ويسعى لتكون مسيرته نحو الله تعالى.. والسعي بين الصفا والمروة يعلم الفرد كيف ينطلق نحو تحقيق الخير بسرعة ونبذ الخمول والتعاس، وبهذا ينطلق ضمن الدائرة الحركية الراضية لكل أسباب القعود والتباطؤ ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾^(١٥) وليقتدي بالعائلة الإبراهيمية التي عانت الكثير لتكون حياتها سلوكاً يُقتدى به على مرّ الأجيال.

إن الحج مسيرة تكاملية ترفض الأنا وتجدد الشهوات؛ كي ينطلق الفرد

في رحاب التوحيد الإلهي نابذاً كلّ مظاهر الشرك الخفي والبائن، وهو بهذا يربّي الفرد على كثير من المعنويات الروحية، التي لا تستطيع آلاف المجلّدات والكلمات الوصول إليها.

عقبات أمام الحج الإبراهيمي

لقد عمد الاستكبار العالمي من خلال غزوه الفكري للبلاد الإسلامية، الذي كان أقسى وأشدّ عليها من الغزو العسكري.. عمد إلى تشويه صورة الشعائر الإسلامية وإماتتها وتحويلها إلى شعائر جوفاء لا روح فيها، وبذلك تفقد هدفها الذي شرّعت من أجله ألا وهو تربية الإنسان المسلم وتوحيد الأُمّة الإسلامية وجمع صفوفها.. ووضع أمام الحج الصحيح عقبات وتشويهات كثيرة منها:

١ - عدم فهم الحاج لشعائر الحج ومناسكه والمنطلقات التي تهدف إليها، وهذا جاء عبر الترويج بأنّ الهدف هو إكمال المناسك بأسرع وقت كي يحلّ له ما حرّم عليه وقت الإحرام.. ولهذا يطوف الحاج ويسعى بين الصفا والمروة وهو لا يفهم لماذا هذا الطواف؟ وما

أهمية السعي والهرولة بين الجبلين؟ وبهذا فهو يؤدّي عملاً فارغاً ليس له أي مدلول تربوي أو روحي، وقد يهّمه أن يحمل لقب الحاج للتفاخر على الآخرين وينسى «إِنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم» (١٦).

٢ - فصل الدين عن السياسة.. فما لله الله وما لقيصر لقيصر.. وأصبح الدين بعيداً عن السياسة بل إننا نرى أنّ الكثير من المسلمين - مع الأسف - يرون في تدخّل علماء الدين في شؤون السياسة تدخلاً فيما لا يعينهم.

لقد كان لهذه الفكرة الاستعمارية آثار سيئة ووخيمة للغاية منها: دخول المبادئ الوضعية والكافرة والملحدة إلى البلاد الإسلامية واحتلالها قاعدة التشريع؛ لتكون قوانينها هي النافذة، ففي كثير من البلاد الإسلامية نجد التباين في أحكام الزواج والطلاق والإرث مع الشريعة الإسلامية مع أن «حلال محمّد ﷺ حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة».. وهذا أدّى إلى فقدان الإنسان المسلم لاعتزازه بدينه كدين وعقيدة قادرة

من أداء هذه الفريضة، وإنما هي تعمد إلى هذا الأمر كي لا يحتك المسلمون بغيرهم من بلدان الشعوب الأخرى، وكي يبيق التصوّر بأن الحج هو فريضة العجزة.

٤ - لقد تحوّلت مكة إلى سوق عالمي تُعرض فيه البضائع من كلّ الأشكال والألوان والدول^(١٨)، ونجد الحاج يعيش آفاق التفكير فيما سيشتري قبل وأثناء الحج. وبعض منهم يقضي وقتاً طويلاً - خاصة النساء - في التجوّل في الأسواق ناسين أنها أيام معدودات قد لا تعود مستقبلاً، وأنّ الأفضل أداء المناسك وإكمالها ثم الانتقال إلى الأسواق.. لقد وجدتُ أناساً نزلوا إلى السوق قبل أن يفكّوا إحرامهم بتمام مناسكهم، وهذا معناه عمق التفكير المادي الذي زرعه الحضارة الغربية في نفوس أبنائنا، علماً بأنّ هذه البضائع لكلّ الدول ومنها الدول الموالية لإسرائيل، والتي تجد في سوق مكة خير سوق للربح العظيم، لتشتري بتلك الأموال السلاح وتقدّمه عوناً لإسرائيل.. كي تقضي به على

على الإدارة والحكم، وأصبح المسلم يرى الإسلام (أساطير الأولين) وهذا الفصل بين الدين والسياسة جعله يلتبس المبادئ التشريعية الوضعية التي أسقطته في دائرة الشرك، والابتعاد عن الله وعن الإسلام كالمبادئ الشيعوية والعلمانية وغيرها.

٣ - في كثير من الدول الإسلامية نجد محدودية سن الحجيج وعددهم، ومع الأسف فكثير من الدول لا تسمح للشباب بالذهاب إلى مكة وأداء فريضة الحج، وتضع معدلاً للأعمار قد يتجاوز الخمسين أو الستين سنة حينما يصبح الفرد عاجزاً مريضاً كبيراً غير قادر على التجاوب مع معطيات الحج وأهدافه، في الوقت الذي اعتنى ﷺ بالشباب وأوصى بهم «أوصيكم بالشبان خيراً فإنهم أرقّ أفئدة»^(١٧).

والأمر الآخر هو تقليل الحصص في بعض الدول إلى عدد قليل، خاصة إذا كانت الحكومة معادية للإسلام، فلا تسمح سوى للعجائز والشيوخ ورجال الاستخبارات بالذهاب إلى الحج، ومعنى هذا أنّ الأغلبية المسلمة محرومة

المسلمين .

«الحياتية»

الإمام الخميني

إنّ الحج الغربي أو الحج الأمريكي والذي يجعل الحج مجردّ سفرة سياحية للترف والنزهة، والذي هو أصل الحج في العالم أجمع بعد دهور سجية الكثير من الحجاج الذين ساءوا بسبب التضليل الإعلامي.

هذا الحج يصادر أهدافاً غير إسلامية فلا هو مؤتمر ديني شرعي، ولا هو روحية، ولا هو جديد للمسلمين وشحنهم بالهوية ضد الطاغوت.. وبهذا أصبح الحجاج يفتقدون المنافع السياسية والفكرية والروحية التي أشارت إليها الآية الكريمة:

«وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَاجِرَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ الَّذِي كَرَّمَ أَيَّامَ مَعْلُومَاتٍ...» (١٩) وأصبح قسراً على المنافع الاقتصادية التي تخدم الاستكبار العالمي!!

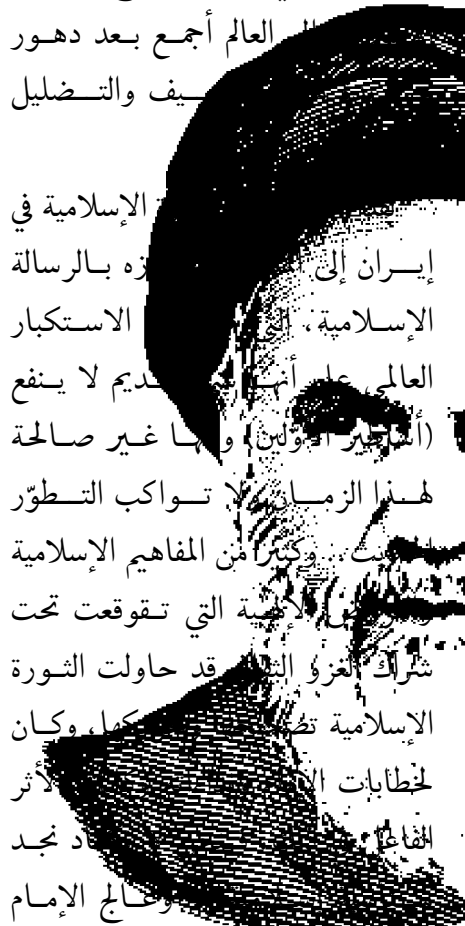
الإمام الخميني

«الحجّ يمثّل مركز المعارف الإلهية

الذي ينبغي أن يؤخذ منه محتوى السياسة الإسلامية في جميع الأبعاد

القرآني الصحيح .

لقد بزغ فجر النهضة الخمينية بعد سنوات من التشويه الذي حاصر الدين وعلماء الدين . وكان هدف الإمام هو



رسول الله ﷺ من أجل إعادة الحياة إلى الإسلام وهو طريق الثورة» (٢٠).

لقد أيقن الإمام ان المفهوم الديني والسياسي الذي حقق الانتصار على الإمبراطوريات القديمة وهزم الأحزاب، لا يزال قادراً على هزيمة الجاهلية الجديدة المتمثلة اليوم بالحضارة المادية الغربية، التي قوقعت الإنسان في إطار الشهوات والغرائز.

إنّ الإمام الخميني في خطابه الديني والسياسي الذي كان خطاباً دينياً قرآنياً في كلّ مفرداته ومفاهيمه، باعتبار أنّ الإسلام دين كامل على الصعيد النظري والعملي، ولا حاجة للمسلمين أن يتلقفوا مفردات ومفاهيم مستوردة من الثقافة الغربية.. وهو الخطأ الذي وقع فيه الكثيرون من العلماء المسلمين..

ولهذا نجد أنّ لكلمات الإمام وخطاباته صدّى واضحاً على النفوس وعلى جميع المسلمين وغيرهم، ولعل من الأسباب التي هيأت لهذا:

١ - إطلالة الإمام الخميني ﷺ في القرن العشرين، الذي ظهرت فيه

تحقيق أهداف المرء المسلم الذي طالما غيبته الحكومات الوضعية فسلبت شخصيته وهويته وتراثه؛ ليتسنى لها أن يبقى المسلم مقهوراً ضعيفاً لا يستطيع المقاومة أو الرفض، وجاءت كلمات الإمام لتحتل مكانة واسعة في قلوب المسلمين وغيرهم، الذين لفهم العجب لهذا الرجل الكبير المجرد من السلاح المادي، والذي سحق عرش الطاغوت ليقم دولة الإسلام.

ورغم ان العالم الإسلامي شهد خطابات ومفردات كثيرة، لكنها لم تنفع في إعادة الحيوية إلى الشعوب المسلمة وتحرير عقيدتها من أسر الطاغوت والاستبداد..

لقد كان لخطابات الإمام التأثير الفاعل على المسلمين بحيث أوجد عند الإنسان المسلم القناعة بأنّ عليه أن يفهم مفردات الإمام الجديدة كي ينطلق بحيوية وحركية أوضح إلى المجتمع..

لقد سئل السيد الخامنئي (دام ظلّه) عن السبب في تغلغل كلمات الإمام في النفوس فأجاب: «إنّ الإمام الخميني سلك الطريق نفسه الذي سلكه

الخطاب الديني كان من العوامل المساعدة على تهافت الناس لتتبع خطابه، وهذا جاء في الوقت الذي استطاع الاستكبار العالمي إيجاد هوة واسعة بين علماء الدين والناس حتى أوجدوا نفوراً منهم، وكما يقول الإمام في إحدى خطابه: إن سائق التاكسي كان يرفض حمل عالم الدين في سيارته.. فنقول إن الخطاب الديني عند الإمام كان طفرة واضحة في هذا القرن.

وكانت بيانات الإمام من البساطة والحركة بحيث يفهمها الأمي والمثقف ويعمل بها.. يقول الإمام الخميني رحمته الله: الإسلام دين عبادته سياسة وسياسته عبادة. والآن إذ يجتمع المسلمون من شتى بقاع الأرض حول كعبة الآمال؛ لحج بيت الله وللقيام بالفرائض الإلهية.. يتوجب على المسلمين الذين يحملون رسالة الله تعالى أن يستوعبوا المحتوى السياسي والاجتماعي للحج إضافة إلى محتواه العبادي.

وبهذا أخرج الإمام العنوان الجديد «سياستنا ذات ديننا» أخرجه من حيز التنظير والجدل، ومن دائرة الآمال

الكثير من النظريات المعادية للدين من قبيل (الدين إفيون الشعوب) وهو كعالم دين دعا إلى نبد كل الطواغيت الأرضية والفكرية، وعلى هذا فقد عادت صورة الإسلام إلى الظهور على الشاشة العالمية.. ولهذا جدّد النهضة الإسلامية.

٢ - كان الإمام صورة للإسلام في التطبيق العملي، فهو الإمام القائد الذي قهر امبراطورية الفرس العظيمة، لكنّه رجل زاهد لم تأخذه الدنيا بزخارفها، ولم يداخله الزهو بما حقّقه للعالم الإسلامي من عزّة وقوّة.. وبهذا جدّد صورة رسول الله صلى الله عليه وآله المرئيّ الأوّل للانسان وللشريعة جمعاء، ولعل توافق القول مع التطبيق والسلوك هو الذي جعل كلماته نافذة في القلوب الواهية بهذه الصورة الجديدة.

٣ - سهولة بيانات الإمام وشمولها.. فهدف الإمام هو إيصال الفكر الديني بأقصر طريق إلى أكثر عدد من المسلمين وغيرهم؛ ولهذا جاءت كلماته مفهومة واضحة ليس عليها غبار، كما أنها كانت كلمات واسعة المضامين عالية المفاهيم، ولعل نجاح الإمام رحمته الله في إحياء

ضرورة الاستفادة من هذه المناسبات في سبيل تصحيح المفاهيم الخاطئة، التي عششت في أذهان الناس، ولإيجاد العلائق بين المسلمين كافة من خلال اجتماعهم في ذلك المؤتمر الكبير.. ولعل الإمام كان يرى ضرورة تزويد وشحن المسلم بالقوة الكافية وإعطائه شيئاً من الجرأة من خلال انفتاحه مع اخوانه هناك، وتبادله وجهات النظر حول الشؤون الإسلامية المتعددة.. يقول الإمام:

«علينا أن نستثمر موسم الحج ونجني منه أطيب الثمار في الدعوة إلى الوحدة والدعوة إلى تحكيم الإسلام في الناس كافة.. المسلمون الأوائل كانوا يجنون من جماعاتهم وجمعاتهم وأعيادهم ومواقف حجهم أحسن الثمار».

ويقول في مكان آخر:

«على المسلمين الملتزمين الذين يجتمعون كل عام مرة واحدة في المواقف الشريفة، ويؤدون واجباتهم الإسلامية في هذا التجمع العام والحشد الإلهي بمعزل عن الامتيازات وبمظهر واحد دون اهتمام بما يميّز بينهم من لون

والأحلام المسيطرة على مخيلة المسلمين إلى واقع الاداء والفعل.. فالمدرسة الإسلامية تحتوي على تصوّر شامل للكون وللحياة بكلّ أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. بل إنّ رسالة الإسلام انطلقت من المسجد.. يقول الإمام عليه السلام:

«لقد انطلقت منذ صدر الإسلام إلى اليوم كل الحركات من المسجد، إنّ المسجد هو الذي أوجد القوة الموحدة ضد الكفار والمشركين، وأنتم المسجديون لأبد من أن تبنوا المساجد على أساس الإسلام والحركة الإسلامية؛ لأجل قطع أيادي الشرك والكفر، ولدعم المستضعفين ضد المستكبرين. فالمسجد كان محلّ الصلاة والقيادة والحكومة والإدارة».

يقول الإمام عليه السلام:

«إنّ لفريضة الحج خصائص متميزة بين كلّ الفرائض الإلهية، ولعلّ الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه الفريضة تفوق جوانبها الأخرى مع أنّ لجانبها العبادي خصائص متميزة».

وقد أكد الإمام الخميني على

أو لغة أو بلد أو منطقة وبأبسط المظاهر المادية وباندفاع نحو المعنوية والوفود على الله ، عليهم أن لا يغفلوا عن الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه العبادة».

٣ - دعا الإمام عليه السلام إلى ضرورة تفهم شعائر الحج وأسراره كي ينطلق الحاج لاداء الفريضة بوعي وهدفية أكثر تمكّنه من الوصول إلى ساحة القرب الإلهي .

يقول الإمام الخميني عليه السلام:

«إن مكة المعظمة والمشاهد المشرفة هي مرآة الأحداث الكبرى لنهضة الأنبياء وبعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ورسالته» .
ويقول أيضاً:

«إن الحضور في هذه المشاهد المشرفة والأماكن المقدسة، يجعلنا نتعرّف على مسؤوليتنا في المحافظة على مكتسبات هذه النهضة والرسالة الإلهية.. ويظهر لنا مدى استقامة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى من أجل دين الحق وإزهاق الباطل ، وعدم مبالاتهم بالتهم والاهانات التي كان يوجّهها أبو جهل وأبو سفيان ومن لفّ لفهم.. إنهم لم يستسلموا في أصعب الظروف حينما كانوا محاصرين أشدّ المحاصرة من

الناحية الاقتصادية في شعب أبي طالب» .
يقول الإمام الخميني عليه السلام حول الطواف:

«إن الطواف حول بيت الله يعلمكم أن لا تطوفوا حول غير الله ، وأنّ رجم الشيطان رمز لرجم شياطين الإنس والجن .. حين ترجمون الشيطان عاهدوا ربّكم على طرد كل شياطين الإنس والقوى الكبرى من بلادكم العزيزة» .

إنه يعلم المسلمين أنّ هذه الشعائر ليست عملاً أجوف ، فمثلاً الطواف حول البيت يذكر المسلم بالطواف حول الله تعالى أي أن تكون أعماله مقصودة لوجهه تعالى وتكون حركته منه وإليه ابتغاء مرضاته، وبذلك يبتعد عن الشرك الظاهر والشرك الخفي.. وحتى رجم الشياطين تمنح الفرد المسلم القوة والايان لمواجهة شياطين الإنس والجن ، وإنّما ذكر شياطين الإنس كي يذكر الجموع المسلمة أن الطواغيت الذين يطوفون حولهم هم أولى بالرجم من غيرهم .

ويقول الإمام في موضع آخر:

«إن كلمة لبيك التي تتلفظون بها هي

يقول الإمام عليه السلام :

«إنّ إعلام البراءة من المشركين يعتبر من الأركان التوحيدية والواجبات السياسية للحج» .

وقفه:

مما لا شك فيه أنّ التوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية، وهو المحور الذي تنفّرع منه حركة التاريخ الفاعلة المؤثرة في كلّ جوانب المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومن البديهي أنّ للتوحيد جانبين^(٢١):

١ - الجانب النظري وهو الاعتقادي على مستوى الذهن والتفكير، ويقوم على تطهير الفرد من التلوّث والشرك الفكري، وبهذا يحافظ على حرم العقل من الخبائث النظرية .

٢ - الجانب العملي وهو تجلّي آثار التوحيد النظري على الواقع العملي على حياة وسلوك وقيم الفرد والمجتمع .

ورغم أهمية الجانب النظري، ولكن التوحيد إذا لم ينطلق إلى واقع الحياة، ولم يكن له حضور في المسرح الحياتي، فهنا يصبح تطبيق الشريعة أمراً صعباً

استجابة كبيرة وعميقة لدعوة الحق تعالى، وبها تنفون صفة الشرك بجميع مراتبها، وعليكم أن تشعروا بذلك أنفسكم، وبها تهاجروا بأنفسكم التي هي منشأ الشرك الكبير نحو الباري جل وعلا.. وعندئذ تنالون أجركم وهو على الله تعالى» .

نعم إنه يؤكّد على أنّ هذه التلبية هي ليست ترديداً أجوف لكلمات واحدة، بل إنها كلمات التوحيد المنبعثة من القلوب المهاجرة إلى الله الساعية إلى رضوانه ومحبته، وحقاً ما أوسع البون بين من يرّدّد كلمات لا يتعاش بها، وبين من يعيش العشق الإلهي فيناجي المحبوب في كلمات منبعثة من القلب المقرّ لله بالذل والخضوع!

يقول الإمام عليه السلام :

«ليس حجاً هو الحجّ الخالي من الروح والحركة والقيام والبراءة والوحدة، والحجّ العاجز عن هدم صروح الكفر والشرك» .

٤ - دعوة الإمام جميع المسلمين إلى المشاركة في مسيرة البراءة من المشركين .

يقول الإمام الخميني رحمته الله :

«أي إنسان عاقل لا يدرك عبادة الأصنام الجديدة بأشكالها وأحاييلها وحيلها الخاصة، ولا يعرف هيمنة معابد الأصنام - كالبيت الأسود الأمريكي - على البلدان الإسلامية وعلى أرواح وأعراض المسلمين والعالم الثالث!؟

إنَّ صرخة براءتنا من المشركين والكفَّار اليوم، هي صرخة البراءة من الظلم والظالمين، وصرخة أمة ضاقت ذرعاً باعتمادات الشرق والغرب وعلى رأسهم أمريكا وأذنانها، وغضبت جراء نهب بيتها وثرواتها.

وربَّ سائل يسأل ماذا تعني البراءة؟ هل تعني المخالفة اللسانية أم القلبية، أم تعني الاستئصال لوجود هؤلاء المشركين؟

والحق أن البراءة تشمل كل هذه الأشكال، وعلى الكل أن يعلن براءته بما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (٢٣) للوصول إلى الهدف المنشود وهو تطهير الأرض

مستصعباً، ومعناه فتح الطريق والثغور أمام قوى الشرك الفكرية والتشريعية والعملية لغزو المجتمع من محطات الفراغ والضعف، خاصة في المواضع التي يغيب فيها الفكر التوحيدي.

وعلى هذا فقد يكون واجب المسلم دوماً هو إقصاء الشرك عن معالم وقيم وأفكار المجتمع، وتقويض سلطة الفراعنة والمتألهين والطواغيت الوثنيين، الذين يرهبون الناس كي يخشوهم ولا يخشوا الله تعالى.

إنَّ الشرك العالمي يسعى لتطويق دائرة التوحيد؛ لكي يستطيع التسلُّط على الناس والثروات.

ولما كان الشرك مَعْلَمًا من معالم الانحراف يشلُّ المجتمعات عن التقدُّم، ويصادر حقوق المستضعفين والمؤخِّدين (٢٢)، فلا بدَّ من التصدِّي لهذا الوجود سواءً على صعيد النظريات المطروحة أو على الصعيد العملي، وهنا تظهر أهمية البراءة من المشركين كحركة سياسية اجتماعية حضارية تهدف إلى تربية المسلم على إنكار الشرك والتصدي لمحاربتة.

٢ - ضمن الحركة الخارجية وهو الإعلان للتصدي من المشركين ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (٢٧).

وعلى هذا فالمسلم لا يستطيع الإنطلاق إلى الدائرة التغييرية في المجتمع ما لم يعيش مفهوم البراءة من المشركين قلباً ولساناً وفكراً وعملاً.

يقول الإمام الخميني عليه السلام:

«إِنَّ إِعْلَانَ الْبِرَاءَةِ فِي الْحَجِّ هُوَ تَجْدِيدُ الْعَهْدِ بِالْجِهَادِ وَتَرْبِيَةِ الْمُجَاهِدِينَ لِمَوَاصِلَةِ الْحَرْبِ ضَدَّ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَهُوَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الشُّعَارَاتِ بَلْ يَتَعَدَّهَا لَتَعْبئةٍ وَتَنْظِيمِ جُنُودِ اللَّهِ أَمَامَ جُنُودِ إِبْلِيسَ وَبَقِيَةِ الْأَبَالِسَةِ، وَالْبِرَاءَةِ، هَذِهِ تَعْتَبِرُ مِنَ الْمَبَادِئِ الْأَوَّلِيَّةِ لِلتَّوْحِيدِ».

ويقول أيضاً:

«إِنَّ إِعْلَانَ الْبِرَاءَةِ هُوَ الْمَرْحَلَةُ الْأُولَى مِنْ الْجِهَادِ، وَمَوَاصِلَتُهُ هِيَ مِنَ الْمَرَاهِلِ الْأُخْرَى لَوَاجِبِنَا، وَأَنَّهُ يَتَطَلَّبُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ مَفَاهِيمَ وَأَسَالِيبَ خَاصَةً».

ورغم أن الصراع بين الشرك والتوحيد صراع أزلي، ولكننا الآن نرى قيمومة كيانات الشرك والإلحاد في أرجاء المعمورة، وهي تسعى سعياً

من الأصنام المرئية وتطهير القلوب من الأصنام الصورية، لقد ألحَّ الله تعالى على خليله حينما بنى الكعبة أن يطهرها ﴿أَنْ لَا تَشْرِكَ بِبِي شَيْئاً وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٤).

وإبراهيم عليه السلام كان محطِّم الأصنام:

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٢٥).

وأول عمل قام به صلى الله عليه وآله حينما دخل مكة هو تحطيم الأصنام لتطهير البيت، ولما كان القلب هو حرم الله تعالى فالأولى تطهير حرم الله من كل ألوان الشرك الظاهر بالتماثيل والأصنام المرئية وإزالة الأصنام القلبية سواء كانت أهواءً أو مطامع أو طواغيت أو رجساً ذاتياً يحول بين الفرد وسعيه إلى ربه ليدخل جنَّته». وعلى هذا فمبدأ البراءة يرتكز على أمرين (٢٦):

١ - ضمن حركة الفكر والاعتقاد أي ضمن الحرم الداخلي للإنسان، وهو الذي يحافظ على نيّة العمل وعلى الهدفية في الحياة ويمهّد لتحقيق الأهداف الكبرى.

مسموماً لتحطيم عقيدة التوحيد سواء بحاربة الفرد الموحد أو الدولة الموحدّة أو بنشر الفساد والرذيلة لإهلاء الناس

بها أو التنكيل بالموحدين.. ومشككاً في قدرة الإنسان المسلم أنه بحاجة إلى الشعور بالقوّة والعزّة،

استحضار الوعد الإلهي، لأغلبين أنا ورسلي» (٨) أيضاً إلى استحضار الشعور مع الله ومع المسلمين، وأنه ليس بهذه الذي يخوض هذا الصراع، بل هناك الملايين التي تشاركة هذه الأحاسيس النيرة،

وعلى هذا فقد كان اختيار أيام الحج واختيار مكة المكرمة ليكون التوقيت الزمني والمكاني متلائماً مع الغاية المنشودة.

يقول الإمام (ع): «وأى بيت هو أفضل من الكعبة؟! البيت الآمن والطاهر لنبذ كل أشكال الظلم والعدوان والاستغلال والرق واللاإنسانية قولاً وفعلاً وتحطيم أصنام الآلهة تجديداً لميثاق «ألست بربكم» وذلك إحياءً لذكرى أهم وأكبر حركة سياسية للرسول عبّر عنها القرآن

بقوله «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر».

إنّ التوقيت الزمني في أيام السفر أيام مباركة هجر فيها الحاج متعلقاً برحمته وتوقيت المكاني الذي ظهر في الدعوة الأولى للمسلمين قلائل مستضعفين من قادة للشبهة والخير والعزّة والحرمة إن هذا التوقيت لي شحن الفرد المسلم بالسياب القوّة والإرادة؛

السياب إلى كل باطل وطاغوت وسعياً لبيئته الذات والاجتماع ووعياً للحياة وتضحية في رضا الله» (٢٩).

فمن سئل عن أفضل من البيت

أراضي العشق والجهاد وأكثرها قدسية.. إلى كعبة أكثر رفعة حيث ينطلقون من إحرام الحج إلى إحرام الحرب، ومن طواف الكعبة والحرم إلى طواف صاحب البيت، ومن التوضؤ بزمام إلى غسل

أراضي العشق والجهاد وأكثرها قدسية.. إلى كعبة أكثر رفعة حيث ينطلقون من إحرام الحج إلى إحرام الحرب، ومن طواف الكعبة والحرم إلى طواف صاحب البيت، ومن التوضؤ بزمام إلى غسل

أراضي العشق والجهاد وأكثرها قدسية.. إلى كعبة أكثر رفعة حيث ينطلقون من إحرام الحج إلى إحرام الحرب، ومن طواف الكعبة والحرم إلى طواف صاحب البيت، ومن التوضؤ بزمام إلى غسل

أراضي العشق والجهاد وأكثرها قدسية.. إلى كعبة أكثر رفعة حيث ينطلقون من إحرام الحج إلى إحرام الحرب، ومن طواف الكعبة والحرم إلى طواف صاحب البيت، ومن التوضؤ بزمام إلى غسل

الإسلام وشدة الصحوّة الإسلامية، التي ستدكّ حصونهم وقلاعهم يوماً ما.
٦ - الإعلان عن الإسلام كدين سياسي اجتماعي.

٧ - وبهذا تكون البراءة من المشركين.. المسيرة الراضية لكلّ الأصنام، والتي تنطلق من بيت التوحيد العتيق هي صورة من صور تصدير الثورة والمفاهيم التي حملتها إلى خارج حدود الدولة الإسلامية.

لقد استطاع الإمام ﷺ أن يخرج المسلمين من صورة الحجّ الأجوف.. الحجّ الأمريكي.. إلى الحجّ الإبراهيمي المحمّدي الذي يؤتي أكله كلّ حين بإذن ربّه.

الشهادة والدم ليتحوّلوا بذلك إلى أمة لا تقهر وبنيان مرصوص لا تستطيع معه القوى العظمى الشرقية والغربية الوقوف بوجهها...»

وعلى هذا يمكن إيجاز الهدف من إعلان البراءة على المشركين أيام الحجّ ب:

١ - تربية المسلم على رفض الطواغيت، وافهامهم أن الطاغوت صورة من صور الشرك الواجبة التطهير.

٢ - شحن المسلم بقدر من القوّة يؤهله للوقوف والمجاهدة والرفض بعد أن استطاع الاستكبار العالمي أن يؤسره في دائرة الخوف من المواجهة.

٣ - إشعار المسلم بأنه ليس وحده الذي يقف في المواجهة ضد شياطين الإنس والجن، وإنما هناك الملايين التي تشاركه وهو جزء من هذه الأمة المجاهدة.

٤ - استمداد القوّة والإرادة من ذكريات الإسلام الأولى التي يفوح شذاها في سماء مكة.

٥ - إنذار المستكبرين بعظمة

الهوامش :

- (١) الحج: ٢٦ - ٢٩.
- (٢) البحار: ١١٠.
- (٣) وسائل الشيعة ٨: ١٥.
- (٤) البحار ٩٦: ٧.
- (٥) آل عمران: ٩٧.
- (٦) البقرة: ١١٠.
- (٧) البقرة: ١٢٥.
- (٨) الحجرات: ١٣.
- (٩) رسالة القرآن ١٢ مقالة الشيخ الآصفي.
- (١٠) البقرة: ١٩٩.
- (١١) البقرة: ١٩٧.
- (١٢) رسالة القرآن ١٢ مقالة الشيخ الآصفي.
- (١٣) آل عمران: ٩٦ - ٩٧.
- (١٤) البقرة: ١٢٧.
- (١٥) النساء: ٩٥.
- (١٦) الحجرات: ١٣.
- (١٧) التوحيد ١١، الحج والعقبات التي تقف في طريقه، محمد باقر الأنصاري.
- (١٨) التوحيد ١١، الحج والعقبات .. محمد باقر الأنصاري.
- (١٩) الحج: ٢٧ - ٢٨.
- (٢٠) التوحيد، الإمام الخميني وإحياء الخطاب الديني.
- (٢١) التوحيد ٤٠ العلاقة بين مبدأ التوحيد ومبدأ البراءة من المشركين، حبيب وائل.
- (٢٢) المصدر نفسه.
- (٢٣) التوبة: ٣.
- (٢٤) الحج: ٢٦.

- (٢٥) الأنبياء: ٥٧.
(٢٦) التوحيد ٤٠ العلاقة بين مبدأ التوحيد ومبدأ البراءة من المشركين ، حبيب وائل .
(٢٧) التوبة: ٣.
(٢٨) المجادلة: ٢١.
(٢٩) التوحيد ١١ روافد الشعور عند الحاج المسلم ، الشيخ التسخيري .